عنوان البرنامج: معرفة الصحابة والتابعين
الوحدة الثالثة: المؤلفات في الصحابة
الدرس الثاني: المصادر الأصلية
اسم المحاضر: الدكتور بدر العمراني

المصادر الأصلية

في الدرس السابق من هذه الوحدة أثرنا ما يتعلّق بنشوء فن الكتابة حول الصحابة الكرام، ومراحل بدايته الأولى. والآن سنُجَلّي المصادر الأصلية لهذا الفن، كي تكون منارات هادية في الباب..

مفهوم المصدر:

- لغة: في اللسان: المَصْدَرُ أَصل الكلمة التي تَصْدُرُ عنها صَوادِرُ الأَفعال، وتفسيره أَن المصادر كانت أَول الكلام كقولك: الذّهاب والسَّمْع والحِفْظ، وإِنما صَدَرَت الأَفعال عنها فيقال: ذهب ذهاباً وسمِع سَمْعاً وسَماعاً وحَفِظ حِفْظاً.
- اصطلاحا:هو كل كتاب تناول موضوعا وعالجه معالجة شاملة، حتى صار أصلا يُرجع إليه، ولا يمكن الاستغناء عنه. وغيره الذي يستقي من المصدر يُسمّى: مرجعا. وهناك من لا يُفَرِّق بينهما، باعتبار أن هناك من الكتب من يستمد من المصادر السابقة أو الأولى، لكنه من جهة الاستيعاب والشمول والتدقيق والتمحيص أولى من بعض المصادر. لذلك أعرضوا عن اصطلاح "المرجع" وقسموا المصادر إلى نوعين: أصلية وفرعية.

- مصادر أصلية: هي الكتب الأولى -في أيّ فن- وما قاربها.

- مصادر فرعية:هي التي أخذت عن المصادر الأولى، وعوّلت عليها، واقتصر عمل مؤلفيها على الجمع والتنسيق، والإضافة والتعليق، والتعقيب والنقد... وما إلى ذلك.

وتتمثّل المصادر الأصلية بالنسبة للصحابة الكرام في:

- القرآن الكريم:

وهو أول المصادر الوثيقة التي وثقت صورا من حياة الصحابة، إما بالتلميح كقصة أبي بكر الصديق مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الغار، كما جاء في سورة التوبة: 40 (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).

أو التّنصيص كقصة زيد بن حارثة في سورة الأحزاب: 37 (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا).

والغالب على المذكورين في القرآن جاء من قبيل الإشارة والتلميح لذلك ينبغي الالتفات بالموازاة مع آي الذكر الحكيم إلى كتب التفاسير المسندة، مثل: تفسير محمد ابن جرير الطَّبري (ت310هـ)، تفسير عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرَّازي (ت 327هـ)...

- كتب السنة الشريفة:

وفيها مجال خصب للحديث عن الصحابة باعتبارهم نقلة الأخبار والآثار، عبر أسانيد موصولة.

منها: الكتب الستة(صحيحا البخاري (ت256هـ) ومسلم (ت261هـ)، وسنن أبي داود (ت275هـ)، وجامع الترمذي (ت279هـ)، وسنن النسائي (ت303هـ)، وسنن ابن ماجه (ت273هـ))، والموطأ، والمسانيد كمسند أحمد ابن حنبل (ت241هـ)، والصحاح كصحيح محمد ابن حِبَّان البُسْتي (ت354هـ)، والمصنفات كمصنف عبدالرزاق الصنعاني (ت211هـ)، وكتب الشمائل النبوية كشمائل الترمذي، وأخلاق النبي وآدابه لأبي الشيخ الأصبهاني (ت369هـ)، وكتب الدلائل كدلائل النبوة لأبي نُعَيْم الأصبهاني (ت430هـ) ودلائل النبوة للبيهقي (ت458هـ)، وكتب الأجزاء والفوائد كفوائد تمام الرازي (ت414هـ) وأجزاء ابن أبي الدنيا (ت281هـ)، وكتب العلل كعلل الدارقطني (ت385هـ) وعلل الترمذي...

- كتب المغازي والسير:

وهي الكتب التي اهتمت بمغازي النبي صلى الله عليه وسلّم وحروبه. وهذه المغازي لو لم يَكُنْ نَقَلَتُها من الصحابة، لم تصل إلينا. ولذلك فإننا بالرجوع إليها نجد الكثير ممّا يُمتُّ إليهم بِصِلَة.

منها: سيرة محمد ابن إسحاق (ت 150هـ)، سير أبي إسحاق الفَزَاري (ت 186هـ)، مغازي محمد بن عمر الواقدي (ت 207هـ)، وتهذيب سيرة ابن إسحاق لعبد الملك ابن هشام الحميري (ت213هـ)، الدُّرَر في المغازي والسير لابن عبدالبر النَّمَري (ت463هـ)، جوامع السيرة لابن حزم الأندلسي (ت456هـ)...

- كتب تراجم الرجال:

وهي الكتب التي عَرَّفَتْ بأحوال الرجال وسيرهم وطبقاتهم.

مثل: تواريخ البخاري (الصغير والكبير والأوسط)، تاريخ ابن أبي خيثمة، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي، الطبقات الكبرى لابن سعد، الثقات لابن حبان، الثقات للعجلي، ألقاب الصحابة والتابعين في المسندين الصحيحين لأبي علي الحسين الجَيّاني (ت498هـ)، كتب معرفة الصحابة كمعرفة الصحابة لأبي نعيم، معجم الصحابة لابن قانع(ت351هـ)،ومعرفة الصحابة لابن منده (ت395هـ)، وذيله لأبي موسى المديني (ت581هـ)، الاستيعاب لابن عبد البر (ت463هـ)، والجامع لما في المصنفات الجوامع من أسماء الصحابة الأعلام أولي الفضائل والأحلاملعيسى بن سليمان الرُّعَيْني (ت632هـ)، والاستدراكات والتذييلات على الاستيعاب كذيل ابن الأمين الطُّلَيْطُلي....

- كتب تواريخ البلدان:

وهذه الكتب مهمة تتحدث عن ساكنيها، والطارئين عليها، والمهاجرين منها. ولا شك سنجد فيها الكثير من أحوال الصحابة، لأنهم هاجروا واستوطنوا مختلف المدن والبقاع إلى أن بلغوا أقاصي البلاد.

منها: كتب ألفت في تاريخ الحرمين الشريفين، كتاريخ مكة للأزرقي (ت 250هـ)، وشفاء الغرام بأخبار بلد الله الحرام لتقي الدين محمد بن عبدالرحمن الفاسي (ت 832هـ)، وخلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى لعلي بن عبدالله السَّمْهُودي (ت911هـ) ... وكتب اهتمت بمدن وبلدان أخرى كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي(ت463هـ)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (ت571هـ)، وتاريخ قزوين لعبد الكريم بن محمد الرافعي (ت623هـ)...

ويُلحق بها: كتب الرِّحْلات باعتبارها كتب مشاهدات ووصف لكثير من المدن والبقاع، وفيها نعثر على فوائد تتعلق بمشاهد الصحابة.

- كتب التاريخ العام:

وهي كتب تُعنى بتاريخ الأمم والدول بشكل عام.

منها: تاريخ الطبري (ت310هـ) المسمى: تاريخ الأمم والرسل والملوك، وفتوح البلدان لأحمد بن يحيى البَلاذُري (ت279هـ)، والبدء والتاريخ للمطهّر ابن طاهر المقدسي (ت355هـ)، وتاريخ ابن خلدون (ت808هـ)، المسمى: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر....

- كتب الأدب:

وهي الكتب التي اهتمت بمأثورات السابقين عموما، شعرا ونثرا، ومنهم: الصحابة.

مثل: كتب المحاضرات والمختارات، ككتب الجاحظ (ت255هـ): البيان والتَّبيُّن، والحيوان.. وكتب عبدالله ابن مسلم ابن قتيبة (ت276هـ): عيون الأخبار، والشعر والشعراء... وكتب محمد بن يزيد المُبرّد (ت286هـ): الكامل في اللغة والأدب، والفاضل.. والعقد لأحمد بن محمد ابن عبدرِّبه القرطبي (ت328هـ)، والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (ت356هـ)، والأمالي لأبي علي القالي (ت356هـ).. والدواوين الشعرية، كديوان حسان بن ثابت، وديوان كعب بن مالك...

ومواد هذه الكتب تحتاج إلى تمحيص ونظر عبر مناهج المحدّثين في النقد، كيلا يُنسب لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلّم ما يصح.

(**يُنظر**: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة. مصادر السيرة النبوية وتقويمها للدكتور فاروق حمادة. معجم ما ألف عن الصحابة وأمهات المومنين وآل البيت لمحمد بن إبراهيم الشيباني).

والله الموفق للخير والهادي.

والحمد لله رب العالمين.